مصنفات الفقه المشرقية المتداولة ببلاد المغرب الإسلامي من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي إلي القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي "دراسة إحصائية ببيليوغرافية"

Works of oriental jurisprudence circulating in the Islamic Maghreb from the second century AH to the eighth century AD to the sixth century AH to the twelfth century AD "Bibliographical Statistical Study"

1- ط.د حكيم علي عباس *، مخبر تاريخ الإنسان والعمران والتراث في منطقة حوض الشلف، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

h.aliabbass@univ-chlef.dz

2- د. طهير عبد الكريم، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)

abdelkrimtahir@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/01/20 تاريخ القبول: 2022/06/12 تاريخ النشر:2022/06/15

ملخص: تسعي هذه الورقة البحثية إلى التطرق إلى موضوع انتقال الكتب المشرقية باتجاه بلاد المغرب الإسلامي، والتي جاءت كمحاولة للقراءة في حركية هذه المؤلفات من خلال حصرها ودراستها وإحصائها ببيوغرافيا، ذلك لأنها أدت دورا بارزا ومهما في الاتصال العلمي والثقافي بين القطرين المشرقي والمغربي، كما أنها ساهمت وبشكل كبير في ظهور ما يمكن أن نسميه بالمدارس والمذاهب الفكرية ببلاد المغرب الإسلامي، واعتبرت أيضا ترجمة صادقة للحركة الفكرية والثقافية للروح ذلك العصر الذي دونت فيه.

وفي هذا الصدد جاءت دراستنا لمعالجة محاور هذه الورقة البحثية من مداخل متعددة، وذلك من خلال تتبع المؤلفات المشرقية الخاصة بعلم الفقه الوافدة على بلاد المغرب الإسلامي وذلك الاعتماد بالدرجة الأولى على الكتب والمؤلفات التي دونت سير وتراجم العلماء والفقهاء الذين دخلوا أرض المغرب الإسلامي بهدف إحصاء وجرد مجموع الكتب المجلوبة معهم سواء كانت من تأليفهم أو مؤلفات غيرهم من العلماء.

كلمات مفتاحية: الكتب المشرقية.، المغرب الإسلامي.، الاتصال الثقافي.، المذاهب الفكرية.، علم الفقه.

***- المؤلف المرسل**

Abstract:

This paper seeks to address the transmission of oriental books to the Islamic Maghreb, and came as an attempt to read in the kinetics of literature, because it played an important role in the process of cultural communication between the East and the Maghreb, and contributed to the emergence of schools of thought in the Islamic Maghreb, and it was an honest translation of that to the spirit of that era.

Our study came to deal with the books of Oriental jurisprudence coming to the countries of the Islamic Maghreb, based on the biographies and translations that recorded the names of these scholars coming to the land of Morocco and the books they brought with them.

Keywords: Oriental books, Islamic Maghreb, cultural communication, schools of thought, Jurisprudence.

- **مقدمة**

لقد شكل اختراع الكتابة سنة 3200 ق.م حدثا بارزا ومهما، إذ أنه أدي إلى تغير جذريا في النشاط الفكري والحضاري للبشرية جمعاء، فلا تاريخ إلا بالكتابة التي تحفظ وتصون تراث وذاكرة الأمم، ومن هنا تأتي أهمية الكتاب الذي يعد من أفضل الوسائل لتبادل المعارف والخبرات وانتقالها عبر الأجيال وبين الأمم، وصدق من قال أن الكتاب هو النور الذي يرشد إلى الحضارة، كما أن الكتاب يعتبر مصدرا أساسيا لا غنى عنه في تحصيل العلم والمعرفة وله دور كبير في الإشعاع العلمي والثقافي.

ومن هذا المنطلق جاءت دراستنا منصبة على المؤلفات المشرقية ببلاد المغرب الإسلامي علم الفقه أنموذج، خاصة وأن بلاد المغرب كانت في المراحل الأولى من انتشار الإسلام وجهة لكل الإمدادات ولأصحاب العقائد والأفكار من أهل المشرق وذلك بغية تثبيت وترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس المغاربة الذين كانوا حديثي الإسلامي، ومن أجل تحقيق ذلك شهدت بلاد المغرب خلال تلك الحقبة التاريخية هجرة دائمة ومتواصلة للثقافة المشرقية إلى أرض المغرب.

وقد شكل التواصل الثقافي بين القطرين المشرقي والمغربي خلال العصر الوسيط إحدى أهم المميزات التي طغت على روح ذلك العصر، وأدت إلى تعزيز وتمتين الروابط الثقافية بين الطرفين، وقد أفرز هذا الوضع على إقبال كبير من قبل العلماء للقيام بالعديد من الرحلات المتبادلة بين المنطقتين

حاملين معهم عناصر الحضارة والرقي من علوم ومعارف وبخاصة الكتب، وهو ما أدي إلى توحيد العديد من المناهج والتقنيات كالتدريس والتعليم وكذا تأليف الكتب وغيرها. فما هي إذن أهم مؤلفات الفقه المشرقية المتداولة ببلاد المغرب الإسلامي؟

1. تعريف علم الفقه ونشأته:

بهدف وضع أرضية للموضوع المعالج كان لابد علينا التطرق في البداية إلى مفهوم علم الفقه ونشأته، حتى يتسن للقارئ أخذ فكرة عن الموضوع المعالج.

1.1. تعريفه

1.1.1. لغة:

الفقه بالفاء والقاف والهاء هم أصل واحد صحيح، فهو يدل على الفهم والإدراك العميق للشيء، والعلم به كما يقال فهمت الكلام أي فقهته، ويقال أيضا أفهمتك الشيء أي وضحته لك وبينته، وكل علم بشيء هو فقهه. وقد اختص به علم الشريعة، وأصبح يطلق على كل عالم بالحلال والحرام فقيها[1].

1.1.2. اصطلاحا:

أما الفقه في الاصطلاح فقد أطلق عليه العلماء الشريعة الإسلامية على الفهم المتعمق لقواعد الدين الإسلامي ونظامه ومقاصده العامة، فهو إذن العلم بأحكام الشريعة العملية مستمدا من أداتها التفصيلية[2]. وقد جاء في الحديث النبوي الشريف: "من يرد الله به خير يفقهه في الدين" متفق عليه

2. نشأة علم الفقه:

إن القران الكريم هو المصدر الأول لشرائع الإسلامية في مختلف المسائل المتعلقة بالعقيدة والشريعة والأخلاق لتأتي السنة بعده كمصدر ثاني من مصادر التشريع.[1] ولم تشهد المسائل الفقهية

---

[1]- أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تح. عبد السلام هارون، ج4، دار الفكر، ص442.

[2]- مصطفى أحمد الزرقا، **الفقه الإسلامي ومدارسه**، دار القلم، ط1، دمشق، 1995، ص 9.

على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أي خلاف في حياته، ولعل ذلك راجع إلى أنه كان المرجع في كل أحكامهم وقضاياهم، ولكن بعد وفاته تغيرت الظروف إذ ظهرت العديد من المسائل الفقهية التي لم يرد فيها نص صريح لا من الكتاب ولا من السنة وهو أمر الذي استوجب ظهور مصدر تشريعي جديد تمثل في الاجتهاد والرأي[2].

شهدت بلاد المغرب الإسلامي في منتصف القرن الثاني الهجري انتشار المذاهب الإسلامية، وازدادت انتشارا مع أواخر هذا القرن، ومن المتعارف عليه أن المذهبين الأوزاعي[3] والحنفي[4] كانا هما أولى المذاهب وصولا إلى إفريقية وأندلس، وبقي أهالي المغرب يعملان بهاذين المذهبين إلى أن رحل طلاب العلم المغاربة باتجاه المشرق طلبا للعلم على أيادي كبار فقهائهم وعلمائهم،[5] وقد كانت رحلتهم في البداية مقتصرة على الحجاز وفي ذلك يقول ابن خلدون (ت808هـ) معبرا عنهم: " أما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز، وهي منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك...فرجع

---

[1]- أنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص413.

[2]- مصطفى سعيد الخن، دراسة تاريخية للفقه وأصوله والاتجاهات التي ظهرت فيهما، الشركة المتحدة لتوزيع، ط1،دمشق، 1984، ص51.

[3]- **نسبة إلى عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي الهمذاني، وكان مذهبه مستقل مشهورا عمل به فقهاء الشام مدة، وفقهاء الأندلس، ثم فني. ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1984، ص117**

[4]- نسبة إلى أبي حنيفة النعمان، نشأ المذهب الحنفي بالكوفة ثم تدارسه العلماء بعد وفاة شيخه أبو حنيفة ببغداد ثم شاع بعد ذلك وانتشر في أكثر البقاع الإسلامية، فكان في مصر والشام وبلاد الروم والعراق وما وراء النهر ثم اجتاز الحدود فكان في الهند والصين حيث لا منافس له ولا مزاحم. ينظر: محمد أبو زهرة، **أبو حنيفة النعمان: حياته. عصره. أرائه وفقهه**، دار الفكر العربي، ط2، 1947، ص520.

[5]- عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، 1993، ص15

إليه أهل المغرب وأندلس"،[1] ولقد أطنبت كتب التاريخ والطبقات في تعداد مجموعة طلبة المغاربة الذين تلقوا العلم من مالك بن أنس مباشرة، من أمثال زياد بن عبد الرحمان المعروف بشبطون[2] الذي أعتبر على حد أغلب الأقوال أول من أدخل مذهب مالك إلى أندلس، وكذلك فرغوس بن العباس وعيسى بن دينار... [3] أما في تونس فكان علي بن زياد[4] وهو صاحب الرواية المشهورة للموطأ وأول مؤلف مغربي في المذهب، رفقة ابن الأشرس الأنصاري والبهلول بن راشد[5] وغيرهم[6].

وهكذا فقد تتلمذ كل هؤلاء الطلبة على مالك وأخذوا عنه مباشرة واستفادوا منه ولما عادوا إلى بلدانهم نشروا علمه وفقهه بين الناس، وذلك إما بالتدريس والإفتاء والقضاء وكذا الشورى وغير ذلك

---

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج1، المطبعة الأدبية، ط3، بيروت، 1900، ص449.

[2]- هو زياد بن عبد الرحمن بن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة بن لوذان بن حيي بن أخطب بن ربه بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة بن جزيلة بن لخم بن عدي، أبو عبد الله فقيه أندلس على مذهب مالك بن أنس وهو أول من أدخل مذهبه إلى الأندلس وكانوا قبله على مذهب الاوزاعي توفي سنة 199هـ وقيل سنة 193هـ أو سنة 204هـ، رجل صالح عرض عليه القضاء ولم يقبله. ينظر أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تح. بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2008، ص ص313-314.

[3]- أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب في غصن أندلس الرطيب**، تح. إحسان عباس، ج2، دار صادر، بيروت، 1968، ص46.

[4]- علي بن زياد العبسي التونسي(183هـ/799م)، أول من أدخل موطأ الإمام مالك للمغرب ولم يكن في عصره أفقه منه بإفريقية، وقبره معروف في تونس إلى الآن. ينظر: خير الدين الزر كلي، **الأعلام**، ج4، دار العلم للملاين، ط15، بيروت، 2002، ص289.

[5]- أبو عمرو البهلول بن راشد(128-182هـ)، من أهل القيروان، من الطبقة الأولى، من أصحاب مالك، كان ثقة مجتهدا ورعا مستجاب الدعوة، كان عنده علم كثير سمع من مالك والثوري والليث بن سعيد وغيرهم وسمع منه سحنون ويحي بن سلام وجماعة. ينظر: **ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح. محمد الأحمدي أبو النور، ج1، دار التراث، القاهرة، ص315

[6]- عمر الجيدي، المرجع السابق، ص15.

من الوظائف، وبذلك أضحت مدرسة مالك من أقوي المدارس الإسلامية في المغرب الإسلامي عامة وأصبح أهله أشدهم تمسك بآرائه[1].

أما فيما تعلق بأسباب التي أدت إلى انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي فتكمن في الرحلة إلى الإمام مالك وجلوس إليه واستماع عليه، ولدى عودتهم وصفوا لناس فضله وسعة علمه وجلالة قدره، فعظم صيته وانتشر رأيه وعلمه بين المغاربة[2].

إضافة إلى ذلك حرص الكثير من الخلفاء ببلاد المغرب على أخذ بمذهبه، وأمروا رعيتهم بإتباعه وجعلوا القضاء ومدار الفتيا على مذهبه، وأبرز أمثلة على ذلك الخليفة الأموي في الأندلس هشام بن عبد الرحمن بن معاوية[3]، وفي المغرب الأقصى إدريس بن إدريس[4]، أما في تونس فنجد المعز بن باديس[5]،[6] وقد كان لتأليف حول شخصية الإمام مالك الأثر البالغ الأهمية في تفضيل المغاربة لمذهبه على بقية المذاهب ومنها كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك للقاضي عياض (ت544ه) والذي خصص جزء كبير منهم للحديث عن الإمام مالك وقدم فيه أيضا تراجم أعلام مذهب مالك، أما فيما تعلق بميل المغاربة إلى مذهب مالك وتفضيله عن بقية المذاهب فيقول في ذلك

---

[1]- عمر الجيدي، المرجع نفسه، ص16.

[2]- أحمد المقري، المصدر السابق، ص46.

[3]- أبو الوليد المرواني، بويع بالملك بأندلس عند موت والده سنة اثنتين وسبعين وعمره إذ ذاك ثلاثون سنة، ولد بأندلس وكان دينا ورعا يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعدل في الرعية، ويكثر الصدقات، ويتعاهد المساكين، أمه أم ولد اسمها حوراء، توفي في صفر 180ه وله سبع ثلاثون سنة. ينظر: شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج8، 253.

[4]- إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى، أبو القاسم (177. 213ه/ 793. 828م)، ثاني ملوك الأدارسة في المغرب الأقصى، وباني مدينة فاس، ولد في وليلي. ينظر: خير الدين الزر كلي، المصدر السابق، ج1، ص278.

[5]- صاحب الإفريقية، المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي المغربي (398- 454ه)، شرف الدولة ابن أمير المغرب. ينظر: شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج18، ص140.

[6]-عمر الجيدي، المرجع السابق، ص16

القاضي عياض: "اعلموا _وفقكم الله_ إن ترجيح مذهب مالك على غيره وإنافة منزلته في العلم، وسمو قدره من طريق النقل والأثر، لا ينكره إلا معاند أو قاصر لم يبلغه ذلك مع اشتهار في كتب المخالف والمساعد"[1]. يضاف إلى ذلك الدور الكبير الذي أداه العلماء المغاربة في التعريف بمذهب مالك ونخص بذكر منهم ابن سحنون[2] الذي نشر المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي، وذلك من خلال استغلاله قوة شخصيته وقيامه بمهنة التدريس حيث كان يسمع طلبته موطأ الإمام مالك، كما أنه كان يقول لهم: "من أخذ بفتيا مالك فما ترك من الورع شيئا"[3]، وهذا تحفيزا لهم للإقبال على هذا المذهب المالكي.

وقد ذهب ابن خلدون إلى أبعد من ذلك حينما حصر سبب إقبال المغاربة على مذهب مالك دون غيره في البداوة التي طغت على أهل المغرب وأندلس الذين كانوا بعيدين عن الحضارة التي مست أهل العراق وبذلك كانوا أقرب إلى الحجازيين لاشتراك الطرفين في البداوة[4].

2. أسباب وعوامل توافد الكتب المشرقية إلي بلاد المغرب الإسلامي:

لقد تضافرت مجموعة من العوامل وأسباب مشكلة إنتاج فكري ضخما في بلاد المغرب الإسلامي، والتي تمثلت في تلك المصنفات والمؤلفات المشرقية في مختلف ضروب المعرفة الوافدة إلى بلاد المغرب، ومن أهم الدوافع التي ساهمت في حركية الكتب نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

2. 1. الامتداد الجغرافي والطبيعي:

---

[1]- القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، المملكة المغربية، 1983، ص68

[2]- الإمام العلامة فقيه المغرب، أبو سعيد عبد السلام بن حبيب حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة بن عبد الله التنوخي الحمصي الأصل، المغربي القيرواني، قاضي القيروان وصاحب المدونة، الملقب بسحنون، ارتحل وحج، توفي في رجب سنة 204هـ وله ثمانون سنة. ينظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج12، ص 64.

[3]- نجم الدين الهنتاني، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري- الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، تونس، 2004، ص 50.

[4]- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص449

نظرا لتوسع أقاليم الدولة الإسلامية أصبحت الدولة بحاجة إلى وسيلة لضمان التواصل بين مختلف أقطارها مشرقا ومغربا، وذلك ما تجسد من خلال الكتاب الذي أدى دورا لا يستهان به في ربط الخلفاء بولاتهم في سائر أقاليم الدولة الإسلامية، وخاصة بعد أن تعددت مراكز العلم في مختلف أصقاع العالم الإسلامي،[1] وذلك بعد الفتح الإسلامي الذي أسفر عن ارتباط المغرب بالمشرق حضاريا وهو ما أدى إلى انتقال المصنفات بين مختلف هذه أقطار، حيث لقيت هذه أخيرة اهتماما كبيرا في المغرب في العصر الوسيط، وما يؤكد ذلك هو حرص السلاطين الدول التي قامت على أراضيه وعنايتها بهم، فالحاكم الرستمي كان قد أحضر قوافل من الكتب المشرقية إلى تيهرت وبذلك أصبحت تضاهي عاصمة العلم بغداد[2].

2. 2. ازدهار صناعة الورق ونسخ الكتب:

يؤكد المؤرخون على أن أول من عرف صناعة الورق هم الصينيون وقد عمل التجار العرب على استوراد الورق الصيني في إطار ما يسمى باتصال التجاري بين الإقليمين، أما فيما تعلق بصناعة الورق في البلاد الإسلامية فقد كانت مدينة سمرقند[3] السباق في ذلك، ومنها تسربت هذه التقنية إلى مختلف البلاد الإسلامية حتى وصل إلى أبرز المدن الكبرى في الغرب الإسلامي[4]، وهكذا اتسع نطاق صناعة

---

[1] - خالدي عبد الحميد، العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين 50هـ/670م – 676هـ – 1266م "دراسة تاريخية نقدية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص314.

[2] - المرجع نفسه

[3] - من أجل البلدان وأعظمها قدرا وأشدها امتناعا وأكثرها رجال وأشدها بطلا وأصبرها محاربا وهي نحر الترك، انغلقت سمرقند بعد أن افتتحت عدة مرات لمنعتها وشجاعة رجالها وشدة أبطالها، افتتحها قتيبة بن مسلم الباهلي في أيام الوليد بن عبد الملك وصالح دهاقينها وملوكها، وكان عليها سور عظيم فانهدم فبناه الرشيد أمير المؤمنين. ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، ص124.

[4] - بن عمار الزهرة، "صناعة الوراقة في الدولة الإسلامية وأبرز وراقي المغرب الأوسط"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد السادس، المجلد الخامس، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ص 135.

الورق في الغرب الإسلامي، حيث استعمل ورق البردي الذي دخل إلى بلاد المغرب من مصر عن طريق التجار، وذلك ما ساهم في كثرة الدواوين والتأليف العلمية وخاصة بعد حرص الناس على تناقلها وتداولها، وقد برع عدد كبير من الوراقين الذين اهتموا بنسخ الإرث الثقافي والفني للعالم الإسلامي في كل أنحائه.[1]

وقد عرف السمعاني (ت562هـ/1166م) الوراقة بقوله: "اسم من يكتب المصاحف والكتب وكتب الحديث الشريف وغيرها ويقول لمن يبيع الورق وهو الكاغد ببغداد الوراق"[2]، أما ابن خلدون(ت808هـ) فعرفها بحد قوله: استنساخ الكتب وتجليدها وتصحيحها"[3].

2.3. الرغبة الشديدة في التعلم والقراءة لدي المغاربة:

قد عرفت بلاد المغرب الإسلامي بشغف أهلها وحبهم للقراءة والكتابة، وذلك ما أدى إلى انتشار التعليم والثقافة في كل البلاد الإسلامية، وعبر عن ذلك ابن خلدون بقوله: " كانت تدفع عجلة التأليف وتمدها بأسباب القوة والانطلاق"[4].

2.4. انتشار حركة الترجمة:

نقصد بها النقل من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، حيث عمل المثقفين العرب على نقل تراث الأمم السابقة، وأضافوا عليه نوعا من التجديد والابتكار[5].

2.5. انتشار اللغة العربية:

---

[1]- عبد الرحمن الأعرج، "جوانب من التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق خلال العصر الوسيط "تبادل الكتب أنموذج""مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 24، ص55.

[2]- أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، الأنساب، تع. عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليمني، ج13، الفاروق الحديثة، ط1، 1977، ص300.

[3]- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص92.

[4]-حامد الشافعي دياب، الكتب والمكتبات في أندلس، دار قباء، ط1، القاهرة، 1998، ص 59.

[5]- محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام – نشأتها وتطورها ومصائرها-، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1978، ص40.

حيث أصبحت أداة مشتركة في الثقافة بين العالمين مشرقا ومغربا، وما ساهم في انتشارها هم العلماء الوافدين إلى بلاد المغ ب الإسلامي، وإضافة إلى ذلك أمراء وحكام تلك المناطق كانوا يتثقفون بالثقافة الإسلامية وكانت اللغة العربية وسيلتهم في ذلك، وكذا من أهم عوامل هو إدراجها في المناهج الدراسية والمؤسسات التعليمية[1].

كانت إذا تلك هي أهم العوامل التي ساعدت بصفة عامة على توافد وانتقال المصنفات المشرقية إلى بلاد المغرب الإسلامي.

3. مؤلفات الفقه المشرقية المنتشرة ببلاد المغرب الإسلامي

لقد لقيت العلوم الدينية وبخاصة علوم الفقه اهتمام كبيرا من قبل العلماء المسلمين، وهو ما أدي إلى بروز نخبة من فطاحلة العلماء في هذا العلم الذين جابوا مشارق الأرض ومغاربها عن طريق فكرهم ومؤلفاتهم التي دونوها، وسنحاول من خلال هذا العنصر التطرق لأهم مؤلفات الفقه المشرقية المتداولة في بلاد الغرب الإسلامي، وذلك حسب مراحل توافده.

من أهم مصنفات الفقه المشرقية المنتشرة ببلاد الغرب الإسلامي خلال هذه الحقبة التاريخية نذكر ما يلي:

الموطأ للإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري (ت179هـ/976م):

تم تأليفه واكتمل في عهد الخليفة العباسي المهدي بن المنصور(ت169هـ/785م)، ويضم الأحاديث النبوية وأثار الصحابة والتابعين، وقد اهتم المغاربة بكتاب الموطأ وأولوه عناية كبيرة[2].

كتاب الموازية لمحمد بن إبراهيم الإسكندري المعروف بابن المواز (ت269هـ):

تعتبر الموازية من أمهات الكتب في المذهب المالكي، وهي مصنفة في الفقه حيث أثنى عليها العديد من العلماء، ومنهم القاضي عياض(ت544هـ) الذي قال عنها: "أجل كتاب ألفه قدماء المالكيين وأصحه مسائل، وأبسطه كلاما و أوعبه"،[3] وفي القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، أصبحت الموازية إحدى

[1] - حامد الشافعي دياب، المرجع السابق، ص31

[2] - خالدي عبد الحميد، المرجع السابق، ص 313

[3] - القاضي عياض، المصدر السابق، ج4، ص169.

أشهر وأكبر كتب الفقه في المغرب الإسلامي حيث ضمت كل المسائل العويصة في الفقه المالكي، فضلا عن اهتمامها بفروع المذهب المالكي[1].

المدونة للإمام الحافظ أبي غانم بشر بن غانم الخراساني(ت200هـ/815م):

تعرف هذه المدونة أيضا باسم الغانمية أو المدونة الإباضية، وهي كتاب فقهي تحتوي على أراء الأئمة الإباضين الأوائل من تلامذة أبي عبيد مسلم بن أبي كريمة، وهي صورة لفقه المدرسة الإباضية في أصولها ومعالمها ومنهجها وخصائصها[2].

وقد دونت هذه المدونة بالنقل والرواية عن تسعة من تلامذة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وعن ذلك يقول سعود السيابي في كتابه التواصل الإباضي ما يلي: "سألت الربيع وأبا المهاجر وأبا المؤرخ وأبا سعيد عبد الله بن عبد العزيز وأبا غسان مخلد بن العمود وأبا أيوب وحاتم ابن منصور منهم من سألت مشافهة ومنهم من أخبرني عن من سألهم مشافهة"[3].

ويذكر الدر جيني(ت670هـ/1221م) أن أبا غانم الخراساني وفد على الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ومعه مدونته، وكان هذا الكتاب في اثنى عشر جزءا،[4] وكان للاستنساخ هذه المدونة فائدة عظيمة حيث أهديت نسخة منها للأئمة الدولة الرستمية كانت موجودة في مكتبة المعصومة قبل إحراقها[5].

---

[1] - ميلكوش موراتي، دراسات في الفقه المالكي، تر. محمد صابر عبد الجليل وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988، ص152.

[2] - أبي غانم بشر بن غانم الخراساني، المدونة الكبرى، تح. مصطفى بن صالح باجو، ج1، وزارة التراث والثقافة، ط1، سلطنة عمان، 2007، ص49.

[3] - أحمد بن سعود السيابي، التواصل الإباضي بين عمان والبلاد المغاربية، مكتبة الضامري، ط1، سلطنة عمان، 2014، ص36.

[4] - أبي العباس أحمد بن سعيد الدر جيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تح. إبراهيم طلاى، ج2، مطبعة البعث، ط1، قسنطينة، ص323.

[5] - بحاز بكير إبراهيم، الدولة الرستمية –دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية-، المطبعة العربية، ط2، قسنطينة، 1993، ص396.

كتب محبوب بن الرحيل(ت195-205هـ):

دون هذا أخير العديد من المؤلفات التي تناولت مواضيعها الفقه والكلام والعقائد والإخبار، حيث نقل عنه أهل المغرب كتابه المسمى بسيرة ابن محبوب، الذي يقال أنه في وجد في سبعين جزء وصل إلى بلاد المغرب الجزء السادس منه فقط[1].

كتاب التلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادي(ت422هـ/1030م):

إذ يعتبر كتاب التلقين من بين الكتب المهمة في الفقه المالكي التي شاعت وانتشرت ببلاد المغرب الإسلامي، ونظر لأهمية هذا الكتاب في الفقه المالكي نجد أن القرافي(ت684هـ/1275م) قد حصر هذا الكتاب ضمن مؤلفات التي يدور عليها مذهب الإمام مالك في المشرق والمغرب[2].

كتاب المعونة على مذهب عالم المدينة للقاضي عبد الوهاب البغدادي:

يعتبر كتاب المعونة مرجعا هاما في الفقه المالكي، وذلك بحكم اشتماله على أغلب المسائل والأحكام الفقهية وقد ورد في عبارات سهلة وموجزة، كما احتوى أيضا على فروع ومسائل المذهب المالكي[3].

كتاب الإشراف على مذاهب العلماء لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري(ت318هـ/931م):

يصنف كتاب الإشراف ضمن كتب الفقه، حيث احتوي على جميع الأبواب الفقهية من أولها إلى أخرها، ويعد هذا الكتاب اختصار لكتاب السنن والإجماع والاختلاف[4].

---

[1]- المرجع نفسه

[2]- شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، الذخيرة، تح. محمد حجي، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994، ص36.

[3]- القاضي عبد الوهاب البغدادي، المعونة على مذهب عالم المدينة، تح. حميش عبد الحق، المكتبة التجارية، ج1، مكة المكرمة، ص64.

[4]- أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، الإشراف على مذاهب العلماء، تح. حماد صغير أحمد الأنصاري، ج1، مكتبة مكة الثقافية، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2004، ص ص6-7.

كتاب البرهان في أصول الفقه لعبد المالك بن عبد الله بن يوسف الجو يني(ت478هـ/1075م):

يعتبر كتاب البرهان من بين أهم المصنفات التي ألفت في أصول الفقه،[1] حيث أعتبر العديد من المؤرخين هذا المصنف من بين أفضل الكتب التي دونت في هذا العلم ومن أبرزهم عبد الرحمن بن خلدون(ت808هـ) الذي قال عنه: "وكان من أحسن ما كتب فيه المتكلمون كتاب البرهان لإمام الحرمين ."[2]

كتاب الحاوي لأبي أحسن علي بن حبيب الماوردي (ت450/1058م):

يعتبر هذا الكتاب قامة في الفقه الشافعي، وقد شهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب وكان يحتل مكانة مرموقة بين العلماء[3].

كتاب البسيط في المذهب لأبي حامد الغزالي (ت505هـ/1111م):

يعد كتاب البسيط من بين أهم المؤلفات التي تناولت الفقه الشافعي، ولهذا الكتاب مكانة مرموقة وقدر عالي عند الشافعيين، ويعتبر هذا الكتاب ملخص لما تناوله شيخ الإمام أبو حامد الغزالي أبي المعالي الجو يني في كتابه المسمى نهاية المطلب في دراية المذهب حيث أعتبر خلاصة الفقه الشافعي كله[4].

كتاب المستصفى في علم الأصول لأبي حامد محمد الغزالي:

جاء هذا الكتاب ليتناول مصنفات الفقه المهمة في علم الأصول، حيث عمد أبو حامد الغزالي في مؤلفه هذا إلى الإكثار من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، إضافة إلى استعماله الأقوال والإحالات

---

[1]- علي بن إسماعيل الأيباري، التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، قطر، 2013، ص 160.

[2]-عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 201

[3]- خالدي عبد الحميد، المرجع السابق، ص317

[4]- عبد العزيز بن محمد بن عبد الله السليمان، البسيط في المذهب لأبي حامد الغزالي كتاب الصلاة دراسة وتحقيق، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه، كلية الشريعة، قسم الفقه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1434-1435، ص 37

إلى الكتب والمدارس الفقهية بكثرة، أما فيما تعلق بتبويب هذا الكتاب فقد كان على حسب أصول الفقه[1].

كتاب المعالم في أصول للفخر الدين محمد بن محمد بن عمر بن الحسين القرشي(ت605هـ/1208م):

حيث اشتهر هذا العالم بكثرة تواليفه التي طافت كل البلاد الإسلامية مشرقا ومغربا[2].

كتاب التفريغ في فقه الإمام مالك بن أنس لأبو القاسم عبد الله بن الحسين بن الحسن الجلاب المالكي(ت378هـ/988م):

يعتبر كتاب التفريغ من بين أهم كتب الفقه المالكية المشهورة، وهو بمثابة تلخيص أو اختصار للمدونة[3].

كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام(ت224هـ/838م):

إن كتاب الأموال يعتبر من بين المصادر الهامة التي تناولت المسائل المالية لدولة الإسلامية كالخراج والزكاة والفيء والغنيمة... حيث احتوى هذا المؤلف على أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وكذا أثار الصحابة رضوان الله عليهم وأقوال التابعين وأئمة الفقه[4].

كتاب الفرائض لأبي جعفر الطبري (ت310هـ/923م):

هذا الكتاب مختصر على مذهب زيد بن ثابت رضي الله عنه، وهو مذهب مالك بن أنس، وهو لا يخالفه في شيء إلا في فريضة واحدة وهو على مذهب الشافعي أيضا[1].

---

[1] - أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى في علم الأصول، ج1، ص 5

[2] - شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج21، ص501.

[3] - أبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الحسن الجلاب البصري، التفريغ في فقه الإمام مالك بن أنس، تح. سيد كسروي حسن، ج1 ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007، ص 5

[4] - أبي عبيد القاسم بن سلام، الأموال، تح. أبو أنيس سيد بن رجب، ج1، دار الهدي النبوي، ط1، مصر، 2007، ص22

وقد ذكر ابن خير الإشبيلي في كتابه فهرست ابن الاشبيلي العديد من المؤلفات المشرقية التي وفدت إلى بلاد الغرب الإسلامي منها رسالة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب بن مجاهد الطائي البصري(ت370هـ): تتعلق هذه الرسالة بشرح أصول مذاهب المتبعين للكتاب والسنة[2].

خاتمة:

خلصت هذه الدراسة بمجموعة من الاستنتاجات والملاحظات التي يمكن أن نوجزها في النقاط التالية:

من أهم الاستنتاجات التي خرجت بها هذه الدراسة أن كتب الفقه المشرقية لقيت رواجا وقبول كبيرا في الغرب الإسلامي وبخاصة الفقه المالكي، حيث اتجه المغاربة إلى دراسة هذه الكتب وشرحها وحفظها وتلخيصها والتأليف عنها.

كما أوضحت الدراسة أن الرحلات العلمية والحج كانتا عاملا أساسي في دخول المصنفات المشرقية إلى بلاد المغرب الإسلامي، فلم تكن رحلات العلماء والحجيج إلى المشرق لطلب العلم أو أداء مناسك الحج فقط، بل انكبوا أيضا على نقل مصنفاتهم و دراستها وشرجها واختصارها.

لقد أسهمت المؤلفات الفقهية المشرقية في ازدهار الحياة الفكرية في بلاد المغرب الإسلامي مما أدي إلى ظهور طبقة كبيرة من الفقهاء من أمثال عبد العزيز الغافقي (ت531هـ) والقاضي عياض(ت544هـ) وعبد الحق الإشبيلي (ت582هـ)وغيرهم ممن نبغوا في هذا العلم.

لقد خلف التواصل الثقافي بين العالمين المشرقي والمغربي العديد من الآثار الإيجابية التي تكمن في الإنتاج الفكري والمعرفي الغزير الذي شهده الغرب الإسلامي نتيجة انتقال الكتب المشرقية إلى هذه البقاع.

وفي أخير يمكن القول أنه من الصعب بما كان إحصاء كل مؤلفات الفقه المشرقية التي انتشرت في بلاد المغرب الإسلامي عن طريق الرحلات العلمية وكذا الحج والتجارة وغيرها، وخاصة بعد أن أصبحت

---

[1]-ابن خير الإشبيلي، فهرست ابن خير الإشبيلي، تح. بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2009، ص326

[2]- المصدر نفسه، ص317

بلاد المغرب امتداد جغرافيا للعالم الإسلامي وبذلك أصبح كل ما يصدر في المشرق يلقى رواج في بلاد المغرب.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الأيباري علي بن إسماعيل، **التحقيق والبيان في شرح البرهان في أصول الفقه**، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1،قطر، 2013.

2- أنخل جنثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر. حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

3- الإشبيلي ابن خير، **فهرست ابن خير الإشبيلي**، تح. بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1، .2009

4- الأعرج عبد الرحمن، "جوانب من التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق خلال العصر الوسيط "تبادل الكتب أنموذج"" **مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية**، العدد .24

5- بحاز بكير إبراهيم، الدولة الرستمية –**دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**-، المطبعة العربية، ط2، قسنطينة، 1993.

6- البغدادي القاضي عبد الوهاب، **المعونة على مذهب عالم المدينة**، تح. حميش عبد الحق، ج1، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

7- الجيدي عمر ، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، .1993

8- الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت، معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت.

9- الحميدي أبي عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تح. بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، .2008

10- حامد الشافعي دياب، **الكتب والمكتبات في أندلس**، دار قباء، ط1،القاهرة، 1998.

11- حمادة محمد ماهر، **المكتبات في الإسلام – نشأتها وتطورها ومصائرها**-، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1978

12- خالدي عبد الحميد، **العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين 50هـ/670م – 676هـ – 1266م** "دراسة تاريخية نقدية"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008.

13- الخراساني أبي غانم بشر بن غانم، **المدونة الكبرى**، تح. مصطفى بن صالح باجو، ج1، وزارة التراث والثقافة، ط1، سلطنة عمان، .2007

14- الخن مصطفى سعيد، **دراسة تاريخية للفقه وأصوله والاتجاهات التي ظهرت فيهما**، الشركة المتحدة لتوزيع، ط1، دمشق، .1984

15- ابن خلدون عبد الرحمن، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج1، المطبعة الأدبية، ط3، بيروت، .1900

16- الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد، **طبقات المشائخ بالمغرب**، تح. إبراهيم طلاى، ج2، مطبعة البعث، ط1، قسنطينة.

17- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، **سير أعلام النبلاء**، تح. بشار عواد معروف، ج21، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1984، ص501.

18- الزر كلي خير الدين، **الأعلام**، ج4، دار العلم للملاين، ط15، بيروت، 2002.

19- الزرقا مصطفى أحمد، الفقه الإسلامي ومدارسه، دار القلم، ط1، دمشق، 1995.

20- أبو زهرة محمد، **أبو حنيفة النعمان: حياته. عصره. أرائه وفقهه**، دار الفكر العربي، ط2، .1947

21_ ابن زكريا أبي الحسين أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تح. عبد السلام هارون، ج4،دار الفكر، ص.442

22- السليمان عبد العزيز بن محمد بن عبد الله ، **البسيط في المذهب لأبي حامد الغزالي كتاب الصلاة دراسة وتحقيق**، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه، كلية الشريعة، قسم الفقه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، 1434-1435.

23- السمعاني أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، **الأنساب**، تع. عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليمني، ج13، الفاروق الحديثة، ط1، 1977.

24- السيابي أحمد بن سعود، **التواصل الإباضي بين عمان والبلاد المغاربية**، مكتبة الضامري، ط1سلطنة عمان، 2014.

25- بن سلام أبي عبيد القاسم، **الأموال**، تح. أبو أنيس سيد بن رجب، ج1، دار الهدي النبوي، ط1، مصر، .2007

26- عياض بن موسى السبتى، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ج1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، المملكة المغربية، 1983.

26- بن عمار الزهرة، "صناعة الوراقة في الدولة الإسلامية وأبرز وراقي المغرب الأوسط"، **المجلة الجزائرية للمخطوطات**، العدد السادس، المجلد الخامس، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران.

27- الغزالي أبي حامد محمد بن محمد، **المستصفى في علم الأصول**، ج1.

28- ابن فرحون المالكي، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح. محمد الأحمدي أبو النور، ج1، دار التراث، القاهرة.

29- القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس، **الذخيرة**، تح. محمد حجي، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994.

30- أبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الحسن الجلاب البصري، **التفريغ في فقه الإمام مالك بن أنس**، تح. سيد كسروي حسن، ج1،دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2007.

31- المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب في غصن أندلس الرطيب**، تح. إحسان عباس، ج2، دار صادر، بيروت، 1968.

32- مياكوش موراتي، **دراسات في الفقه المالكي**، تر. محمد صابر عبد الجليل وآخرون، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1988.

33- النيسابوري أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر، **الإشراف على مذاهب العلماء**، تح. حماد صغير أحمد الأنصاري، ج1، مكتبة مكة الثقافية، ط1، الإمارات العربية المتحدة، 2004.

34- الهنتاني نجم الدين، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري-الحادي عشر الميلادي**، تبر الزمان، تونس، 2004.